Research Africa Reviews Vol. 7 No. 3, December 2023

These reviews may be found on the *RA Reviews* website at:
https://sites.duke.edu/researchafrica/ra-reviews/volume-7-2023/volume-7-issue-3-december-2023/

مراجعة كتاب: فتح الكبير المتعال في تراجم أعلام السنغال، القسم الأول: طبقة الرواد المؤسسين: (1673-1807م)، محمد بمب درامي (تنسيق وتحرير)، هيئة إحياء التراث السنغالي (لجنة تأليف)، مركز تكرور للتراث والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، الرباط، 2023م، 344ص.

بقلم عثمان جو/ باحث مستقل، ومدير "منشورات تمبكتو"

إطلالة

يكمن وراء هذا الكتاب مشروع قائم بذاته؛ هو: تدوين تراجم أعلام المسلمين في "السنغال"؛ وهم العلماء الذين كانوا أوعية للثقافة العربية الإسلامية في البلاد وحملةَ أَلْوِيَةٍ؛ ممن أنشأوا مدارس تعليمية، كان لها تأثيرها في تاريخ البلاد؛ أو طرقا وجماعات وتيارات صوفية؛ تركتْ بصماتها في ماضي البلاد؛ ولا تزال.

وقد صنف القائمون على هذا المشروع -بإشرف وتنسيق السيد "د. محمد بمب درامي"- هؤلاء الأعلام إلى طبقاتٍ ثلاثٍ؛ اعتبروا أولاها: طبقةَ الرواد المؤسسين، وثانيتها: طبقةَ التمكين، وثالثتها: طبقةً ذهبية!

ومن حيث التراتبية الزمانية؛ فإن الطبقة التي اعتبرتْ "رائدةً ومؤسسةً" تَنْفَتِح -عندهم- مع ثورة "تُوبْنَانْ" [Tubnaan] أو مرحلة "حرب الشيوخ" الأولى، والتي جرت في حدود عام 1673م، وتختتم بوفاة "ألمام عبد القادر كن" عام 1806م.

أما الطبقة الثانية التي اعتبروها مدبوغة بختم التمكين، والثالثة التي جعلوها ذهبية؛ فسوف يخصصون لهما أجزاء أو إصدارات خاصة؛ ضمن سلسلة يصحُّ تسميتها بـسلسلة "فتح الكبير المتعال في تراجم أعلام السنغال".

وهذه السطور مُكَرَّسَةٌ للحديث عما اعتبروه قسما أولا في هذه السلسلة، وهو الذي خصصوه لتلك الطبقة التي اعتبروها (مؤسسة ورائدة) (صص: 15-27).

الهيئة المؤلفة

اضطلع بهذا المشروع مجموعةٌ سمَّت نفسها بـ"ـهيئة إحياء التراث السنغالي"؛ وهم جميعا من خريجي الجامعات العربية؛ بل تخرج أغلبهم من الجامعات والمؤسسات الأكاديمية المغربية بعد تكوينهم الأساسي في المؤسسات التعليمية السنغالية الأهلية. وهم من عدة اختصاصات في العلوم الإنسانية والإسلامية على سواء، وأغلبهم مثقفون ثقافة؛ لا أقول: إنها مزدوجة اللغة ، ولكنها متعددها (=ولفية أو لغة سنغالية أخرى مع العربية والفرنسية).

وقد ترأست هذه الهيئة "د. محمد بمب درامي" الذي سبق أن زاول وأصدر أعمالا في النشر النقدي والتحقيق لبعض المخطوطات السنغالية العربية، والتي لامس وعالج فيها -من ذي قبل- تراجم أشتاتٍ من أعلام المسلمين في "بلاد السنغال"[1].

---

1. من الأعمال التي زاولها بالاشتراك مع غيره مع آخرين عددٌ وافر من نشرات وتحقيقات "الرابطة الخديمية للباحثين والدارسين"؛ ومنها:

- محمد عبد الله بن عبيد الرحمان العلوي الشنقيطي، النفحات المسكية في السيرة البكية، دراسة وتحقيق: محمد بمب درامي، وأبو مدين شعيب تياو الأزهري الطوبوي، الطبعة الثانية، الرابطة الخديمية للباحثين والدارسين+دار الأمان، الرباط، 1441هـ/2019م، 250 ص.
- محمد الأمين جوب الدگاني، إرواء النديم من عذب حب الخديم، دراسة وتحقيق: عبد القادر امباكي شيخ ميمونة، ومام مور حمدي امباكي، ومحمد بمب درامي، وشيخنا امباكي مرتضى فاضل، وأبو

طريقة عمل الهيئة، وآراء حولها

أما طريقة العمل على هذا القسم أو الجزء – بالأحرى -، فكانت قائمة على تكليفات بجمع المادة البحثية؛ حسب نسق انتقائي معين؛ يضطلع لها - بالدور والتسلسل - فرد معين من أفراد اللجنة التأليفية... إلى أن يجتمع المادة المنتقاة؛ فيقوم المحرر المنسق "د. محمد بمب درامي"، بمهمة المعالجة، والنقد، والفحص، والتمحيص والتحرير...

وقد حققت هذه الطريقة - في العمل - للكتاب عدة مميزات من بينها: وضوح التصور إلى حد بعيد، واتساق نمط المعالجة، ووحدة النسق في الأسلوب والمفردات، وسريان روح واحدة من النقد العقلاني الصارم؛ يمكن الوقوف عليها بوضوح؛ كلما التبست المسائل التاريخية، وتحتم مناقشتها مناقشة جادة من شأنها أن تفصل بين المتروك والمعتبر.

مصادر الكتاب ومراجعه:

أما المصادر التي اتكأ عليها الكتاب؛ فقد اتسمت بالموسوعية المعرفية، وكانت عابرة لعدة لغات[2] واختصاصات متصلة بالعلوم الإنسانية. ومن حيث طبيعة المصادر؛ فإنها تتوزع بين المصدر المدون والمصدر الشفاهي، وبين المصدر المطبوع والمصدر المرقون غير المنشور، وبين المصدر المخطوط، والمصدر المطبوع طباعة حجرية - ليتوغرافية؛ وبين الأرشيف الورقي والتسجيل الصوتي أو المرئي.

فإلى جانب كتب الرحالة والجغرافيين العرب القدامى، التي بدأت تدوينها في القرون الأولى من تاريخ الإسلام ~~قبل العصر الوسيط~~؛ اعتمد الكتاب على عدد من كتابات الرحالة الأوربيين الذي اعتبروا أنفسهم مستكشفين لـ"إفريقيا الغربية"، و"منطقة السنغامبيا" خصيصا، وذلك من القرن الخامس عشر حتى القرن التاسع عشر[3]، إلى جانب مؤلفات مؤرخي منطقة ثنية " نهر النيجر" من "تمبكتو"؛ والتي أُلفت في القرن السابع عشر؛ إلى جانب كتابات مؤرخي "بلاد شنقيط"؛ خصوصا مؤرخي حركة "شَرُّ بُبَّهْ" الذين كانوا على دراية بمجريات حراك إخوانهم في "بلاد السنغال" (="كجور"[Kajoor]، و"فوتا"[Fuuta]، و"والو"[Waalo])، إلى جانب المدونات التاريخية الفوتية البارزة[4]؛ إلى جانب كتابات مؤرخي ونسابي منقطة "كجور"[Kajoor][5]؛ وأعمال الضباط القادة من الإدارة الاستعمارية الفرنسية[6]؛ إلى جانب أطروحات ومُونُوغَرَافِيَّاتِ كتاب مدرسة "دكار" التاريخية[7]؛ إلى جانب كتابات المؤرخين الفرنسين

مدين شعيب تياو، وعيسى عافية گيْ، الرابطة الخديمية للباحثين والدارسين+مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1439م/2017م، 288 ص.

- أحمد بمب امباكي (الشيخ الخديم)، المجموعة الصغرى، رتبها، وحققها، وعلق عليها، عبد القادر امباكي شيخ ميمونة، ومام مور حمدي امباكي، ومحمد بمب درامي، وشيخنا امباكي مرتضى فاضل، وأبو مدين شعيب تياو، وعيسى عافية گيْ، الرابطة الخديمية للباحثين والدارسين+مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1440م/2018م، 348 ص.

2. توزعت لغات المصادر بين الولفية والعربية، والفرنسية والإنجليزية.

3. ومن أبرزهم: "غسبارد موليين" [Gaspard Molien]، و"كداموستو"[Cadamosto]، و"جان ديراند"[Jean Durand]، و"غولبيري"[Golberry]

4. على غرار "زهور البساتين" لـ"لشيخ موسى كمر"، و"حوليات فوتا" لـ"سرى عباس صه"، ومونوغرافيات "أبي بكر خالد باه" (غير المطبوعة أغلبها)

5. من أمثال "الشيخ موسى كه"، و"الشيخ محمد البشير امبَاكِّي"، و"مَفَالْ فَالْ"، و"الشيخ امباكي بُصُ"، و"الشيخ محمد بن إبراهيم امباكي"، و"الشيخ مُدْ دِمْ".

6. من أمثال "موريس دلافوس"[Morice Delafosse]، و"هنري غادن"[Henri Gaden]، و"فيديرب"[Faidherbe].

7. من أمثال "عبد الله باتشيلي"، و"عمر كن"، و"جبريل تمسير انيان"، و"بوبكر باري"، و"أبو بكري موسى لام"، و"ممدو جوف"

والأمريكين، الذين قضوا في "السنغال" شطرا كبيرا من حياتهم؛ مجاراة مع مقتضيات أعمالهم البحثية الميدانية[8]؛... (انظر: فهرس المصادر والمراجع، صص: 311-324).

وباستثناء أعمال تاريخية قليلة لمعاصرين هم ثلة من المؤرخين السنغاليين أو الأمريكين...؛ من أمثال المرحوم "محمد مصطفى كَنْ"، و"دفيد روبنسون"[David Robinson]، و"ممادو يوري سَالْ"؛... فإن هذه الكثافة في استنطاق مصادر وأدبيات ومدونات متنوعة وعابرة للاختصاصات واللغات بهذا الحجم؛ ليست معهودة؛ لا في المدرسة التاريخية السنغالية، ولا عند أغلب الإفريقيانيين الفرنسيين. وكانت الفئة التي تمثل الاستثناء المنقطع في استعمال هذا اللون من الاستنطاق الببليوغرافي؛ هي: المدرسة الأمريكية في الدراسات الإفريقية.

بنية الكتاب:

ويتكون الكتاب -من حيث البِنْيَةِ- من قسمين أساسين،

القسم الأول: اشتمل القسم الأول على ما اعْتُبِرَ "مقدمات تمهيدية في التعريف بالسنغال وشعوبها وأديانها" (صص: 29-111)؛ تَضَمَّنَتْ عدة مقدمات ومداخل تعريفية أنثروبولوجية، ومباحث تاريخية؛ من أهمها: التعريف بـ"السنغال" أرضا، وموقعا، وكيفية تشكل شعوبها؛ من خلال موجات من الهجرات؛ جاءت من الشرق، ومن الجنوب، ومن الشمال؛ بدءا من العصر القديم، وانتهاء بأواخر العصر الوسيط (صص: 29-42)، ومنها: معالجة مسألة العمران البشري للشطر الجنوبي للبلاد (صص: 43-49) مع شطرها الشمالي (49-74)، والتعريف بالشعوب المستوطنة لكل فضاء على حدة، ومنها: دراسة الأديان والمشارب الروحية التي كانت منتشرة في السنغال، في عهود الأعلام المترجم لهم في الكتاب: وأهمها: المنزع "الجِيدُّوِيُّ" [Ceddo] (صص: 75-82)، ورديفه المتخيل أو الحقيقي، وهو الأرواحية (صص: 82-85)، ثم المسيحية بمذهبها الكاثولوكي، وذلك بمحايثة سياق دخوله بلاد "السنغال" منذ نهاية العصر الوسيط، وبداياتها، ورُوَّادها، ومدى انتشارها في البلاد (86-89)، ثم الإسلام؛ بدءا بأوليات ظهوره في "السنغال"، وأقدم المناطق التي احتضنته منذ ظهوره إلى حين توغله وانتشاره في البلاد، والمعابر والجهات التي تَسَلَّلَ من خلاله (90-98)، والبحث في علاقة "المرابطين" بأوليات الإسلام في "السنغال"، ثم نقد دعوى وصول الإسلام إلى بلاد "السنغال" بواسطتهم، أي: "المرابطين" (98-106)، واستعراض أهم الطرق الصوفية المنتشرة في "السنغال"، وهي على الترتيب الزمني: القادرية، ثم التجانية، ثم المريدية (108-111).

هذا هو القسم الأول للكتاب-والذي نزعم أن يدا واحدة؛ هي التي جمعت مادته، وحررته، وهي: يد المحرر "د. محمد بمب درامي". ونزعم أنه كان بإمكانه أن يَبْتُرَ ويَنْشُرَ هذا "القسم" في كتاب مستقل ضمن سلسلة "الفتح"؛ لو لا الهواجس التي تَسْتَكِنُّ نفوس بعض المستعربين "السنغاليين" الذين يتوجهون في بعض أعمالهم إلى القارئ العربي غير السنغالي الذي يراعونه أحيانا، وربما تَخَوَّفَ "المحرر" من عدم استيعاب هذا القارئ لمادة التراجم من غير هذه التمهيدات التي سوف تشكل له خلفية مناسبة تضع النقاط على الحروف، وتجعل الأوضاع والأحداث في سياقاتها الصحيحة، وتُعَلِّي من قابليتها للفهم والهضم.

وربما كان الغرض من وضعها أساسا: تصحيح كثير من الأغلاط، والصور الذهنية، والمعلومات الخاطئة التي تلابس المؤلفون العرب في كتاباتهم عن بلاد "السنغال"، و"غرب إفريقيا".

أما القسم الثاني للكتاب -وهو بيت القصيد- فقد احتوى على تراجم إحدى عشر شخصية من أعلام السلمين من "بلاد السنغال"، الذين عاشوا "بين النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر"، أو بالأحرى: حتى أوائل القرن التاسع عشر، (ص: 24). وهؤلاء الأعلام بالترتيب هم: "مالك سِهْ-بُنْدُ" (صص: 124-135) (في 11 صفحة)، و"القاضي عمر فَالْ" (صص: 136-159) (في 13 صفحة)، و"مَصَمْبَ تيَامْ" (صص: 160-166) (في 7 صفحات)، و"المختار اندُمْبِ جُوبْ" (صص: 168-178) (في 10 صفحات)، و"مهَرَمْ امبَاكِّ" (صص: 180-205) (في 25 صفحة)، و"مُخْتَارْ نَارْ لُو"

8 من أمثال: "هنري غراڤران"[Henry Gravrand]، و"جان بوليغ"[Jean Boulège] الفرنسيَّيْن، و"دفيد روفسون" [David Robinson] و"ميشيل غوميز" [Michael Gomez] الأميريكيَّيْنِ.

(صص: 206-209) (في أربع صفحات)، و"عبد الرحمن سِلُّ" (صص: 210-215) في ست صفحات، و"مَيُرُاندَاكْ فَالْ"، (صص: 216-223) (في 8 صفحات)، و"مَلَامِينْ سَارْ" (224-229) (في 6 صفحات)، و"الشيخ سليمان بَالْ" (230-245) (في 15 صفحة)، و"أَلْمَامِ عبد القادر كَنْ"، (246-309) (في 63 صفحة!).

وتتكون عناصر الترجمة الواحدة من ذكر اسم المترجم وإِرْدَافِهِ بسنتي ازدياده ووفاته بالتحديد المؤكد أو التقريبي، وسرد نسبه، مع وضع حياته في سياقه الزمكاني (في بعض الأحيان)، ثم ذكر مسيرته الدراسية، ومشيخته، ورحلاته، وتأسيسه رباطا تعليميا، وتنقلاته، والأدوار الاجتماعية أو التربوية أو السياسية التي زاولها في حياته، والآثار التي تركها من بعده.

وفي هذه الأثناء: فإن السلاسل العلمية، والمشيخات يتم تتبعها، والمناقب الشخصية وملامح الشخصيات تستجلَى، وتُحَلَّى بأروع النعوت، والصفات، والتنقلات تُرْسَمُ، وتُتَعَقَّبُ بدقة، والوفيات تحدد بدقة أحيانا كثيرة، وبغير دقة أحيانا قليلة.

وقد استحدث المؤلفون أو قَلَّدُوا نمطا في التأليف؛ جَعَلَهُمْ يُتْبِعُون معظم الفصول بملاحق تشتمل غالبا على سلاسل الأنساب المتفرعة من المترجم له، أو شذرت نصوص تُعَرِّفُ بالمترجم؛ أو قيلت في حقه مدحا وثناء، أو تسرد تعاقب أولاد المترجم له على تولي مشيخة مدرسته على مر الزمن، أو تعرض وثائق ذات صبغة تاريخية تتعلق بمترجم له معين[9].ولعل ناظرا إلى عدد الصفحات المكرسة لكل علم على حدة؛ سوف يلحظ التفاوت الكبير بين حجم التراجم، وعدم تكافؤه، وتناسبه من علم لآخر. وسيلاحظ أن الترجمة الواحدة قد تبلغ أحيانا 4 صفحات (مختار نار لو)، في حين تبلغ ترجمة أخرى (25) صفحة (مهرم امباكِّ)؛ أو حتى 63 صفحة (ألمام عبد القادر كن). ولعل هذا الخلل راجعٌ إلى قلة أو كثافة مادة الترجمة المتعلقة ببعض الشخصيات، وحِرْصِ المحرِّر على توظيف أي مادة تجود بها المصادر، مع شُحِّها أحيانا في التوسع في استعراض جوانب سيرة المترجم؛ خصوصا إذا تعلَّق الأمر بشخصية في حجم وخطورة "ألمام عبد القادر كن"، أو بشخصيةٍ في رمزية الجد الثاني لمؤسس الطريقة المريدية، "الشيخ أحمد بمب امباكي".

وفي التراجم التي يحتويها الكتاب؛ غالبا ما تلتقي عناصر السيرة المناقبية بالتاريخ الوقائعي، وسلاسل التلقي بالمشيخات العلمية، وأنساب الفرد الواحد أو الأسرة الواحدة بالأصول المتعددة، وتداخلات الشعوب المختلفة، وتنقلات الأعلام المترجم لهم في أرجاء البلاد بذاكرة الأماكن، وأصول تأسيسها.

لغة الكتاب:

والكتاب في مجملة دُوِّنَ بلغة موحدة، ومتماسكة إلى حد بعيد في أطروحاتها التي تظهر فيها قوة حجاج؛ تعلو نبرتها حينا، وتنزل حينا آخر. وفي مجمل ذلكم شواهد تؤكد صدور تحريرها من شخص واحد.

إثارات ومناقشات:

ونأتي الآن إلى ملاحظاتنا على عدة مسائل من الكتاب؛ نستحضر بعضها فيما يلي من النقاط؛ نعرضها في هذا السياق؛ إثارة لمناقشات ومراجعات؛ ربما دفعت – بالمراجع نفسه أو المؤلفين - إلى استدراكات وتصحيحات في المستقبل:

1. اعْتُبِرَ هذا الإصدارُ المشتمل على "تراجم طبقة الرواد المؤسسين (1673-1807م)"، قسما أولًا لسلسلة "فتح الكبير المتعال في تراجم أعلام السنغال مع مقدمات تمهيدية حول التعريف بشعوب السنغال، وتاريخ الأديان فيها". وفي داخل الكتاب؛ اعتبر كذلك الشطر الثاني من عنوان الكتاب، (وهو الذي عبر عنه بالمقدمات التمهيدية المعرفة بالسنغال وشعوبها، وتاريخ الأديان فيها) قسما أولَ، كما اعتبر التراجم

9 وهذه الملاحق تعلقت بسبعة أعلام من بين إحدى عشر شخصية؛ تُرْجِمَ لهم في الكتاب. ونحن نعتقد أن النموذج الذي نُشِرَ به طبعة الترجمة الجزئية لـ"زهور البساتين"، (والتي قام بها "سعيد بوسبينا" [Said Bousbina] تحت إشراف المؤرخ الأنثروبولوجي الفرنسي "جان سميتز"[Jean Schmitz])، والذي كان قائما على تخصيص معظم فصول ووحدات الكتاب بملحق خاص= نعتقد أن هذا النموذج هو الذي أوحى إلى المحرر "د. محمد بمب درامي" هذا الصنيع.

قسما ثانيا. ولستُ أدرى ما الذي حال بين المؤلفين وبين اعتبار هذا الإصدار الأول من سلسلة "الفتح" جزءًا أو مجلدا أول، ثم المضي قدما في توزيعهم شطري الكتاب إلى قسم أوَّلٍ وقسم ثانٍ دون أدنى التباس.

2. حُدِّدَت طبقة الرُّواد المؤسسيين في مقدمة الكتاب بكون رجاله عاشوا من فترة ثورة "تُوبْنَانْ" عام 1673م إلى سنة وفاة "ألمام عبد القادر كن" عام 1806م. وفي غلاف الكتاب ألفينا تاريخ انتهاء هذه الطبقة محددا بالعام الذي يليه، وهو عام 1807م. ولعل المحرر اعتمد – متوهِّما - تاريخا آخرَ لوفاة "ألمام عبد القادر كن" يسوقه كثيرون من المؤرخين؛ باعتبار صحته، وهو خلاف ذلك. فالتاريخ الصحيح لوفاة "ألمام عبد القادر كن"؛ هو: 1806م؛ كما هو مثبت في رواية أحد شهود العيان المجهولين الذين دَوَّنُوا أحداث وفاته ودفنه في النص الذي سيق به ملحقا (ص: 303-309).

3. اعْتَمَد الكتاب معيارًا مُلْتَبِسًا جدا في تصنيف أعلام المسلمين في بلاد "السنغال" إلى ثلاث طبقات: هي – بالتوالي - : طبقة الرواد المؤسسين (1673-1806م)، وطبقة التمكين (1797-1854م)، ثم الطبقة الذهبية (1854-1950م). ولا نشكك في مسوغات التحقيب قدر ما نناقش دقة الأوصاف الممنوحة لكل طبقة على حدة.

فـ"ـألمام عبد القادر كن" الذي ولد أو نشأ أثناء اغتراب والده "حمدي" (دفين "سالم")، عن "فوتا": من أين اكتسب الريادة وأفضلية التأسيس على والده "حَمَّدِي" الذي رحل في طلب العلم بعيدا عن وطنه؛ حتى قادته خطاه إلى "جني" قرب "تمبكتو"؟ أين اكتسب الريادة وأفضلية التأسيس على جده "الحاج الأمين" الذي هاجر من "دِمَتْ" حتى "كُبِّلُّ"، واستوطنها تحت ضيافة العشيرة الفلانية "هُمَيْنَابِي"، إلى أن غادرها حاجًّا إلى بيت الله الحرام؛ مثلما حج بعده بحوالي قرنين: "الحاج عمر تال"؟ هذا على مستوى محيطه الأسري. أما على مستوى بيئته الفوتية؛ فمن أين اكتسب الريادة والسبق على طبقات وأجيال من الأسر الفوتية، ذوات الأصول الماندنكية والسوننكية، والفلانية، والولفية؛ شكلت منذ زمن قديم طبقة دينية أو (أسرا عُلَمَائِيَّةً)[10]؛ انتشرت على امتداد وادي الحوض الأوسط لـ"نهر السنغال"؛ من "دمغا" [Damga] حتى "طور"[Tooro]، و"دمت"[Dimat]؟ وما هي وجوه التمكين التي افتقرت إليها طبقة "القاضي عمر فَالْ" الذي درس في "دِمَتْ"[Dimat]، والشيخ "سليمان بَالْ" الذي تلقى المرحلة الأولى من دراسته في قريته "بودي" [Boode] الواقعة في إقليم "طورُ" [Tooro] من "فوتا"[Fuuta]، قبل أن يرتحل إلى "بلاد البيضان"؟ ألم يَتَلَقَّفْ جيلُ "دولة الأئمة" آثارَ من سبقوهم وعلموا بعضهم؛ من مشايخ "فوتا"[Fuuta] الذين أشعلوا "المواقد" على امتداد "وادي النهر"، وبمحاذاة ضفتيه اليمنى واليسرى، والذين يمكن للواحد منهم أن يُعَدِّدَ خمسة أو سبعة أو عشرة أو خمسة عشر ممن تولوا مشيخات مدراسهم (مواقدهم)، قبل ظهور جيل "سليمان بال"، و"ألمام عبد القادر كن"؟ ما الذي يجعل طبقة (1854-1950م) ذهبية، ويجعل غيرها من الطبقات فضية أو نحاسية؟!

4. لما تم اعتماد عام ثورة "توبنان" [Tubnaan] 1673م؛ منطلقا لطبقات الأعلام الذين ترجم لهم في هذا الكتاب، وغُيِّبَ في هذه التراجم شخصية إسلامية هو أبرز شخصية لهذا الحدث، أي: حدث ثورة "توبنان" المعروفة أيضا: بـ"ـحرب الشيوخ" الأولى، عَنيتُ شخصية "القاضي انجاي سَلٌّ الفوتي" (المتوفى عام 1686)؟[11] أيعود ذلك إلى اندراس ذكره، وانطماس صيته إلا على صفحات قراطيس الحوليات، والتواريخ؟ ألا يساويه في محدودية أو خفوت الذكر، وانسفال الصيت - إن صح هذا الزعم أصلا - بعض من تُرجم لهم في هذا الكتاب؟!

5. على أي مصدر موثوق به؛ اعتمد عليه السيد "د. محمد بمب درامي" ورفقاءه للقول بأن "القاضي عمر فال" توفي عام 1695م؟ أيعود هذا إلى الصلة المزعومة والمفترضة بينه وبين "مالك سِهْ- بُنْدُ"، وهي

10. والتعبير للأستاذ "محمد سعيد باه" المعروف.

11. أحمد الخديم لوح، جهود علماء السنغال في العلوم العربية والإسلامية بين التأليف والتدريس: من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن العشرين: عرض وتحليل ودراسة تاريخية، بحث مقدم لنيل الدبلوم العالي، بإشراف: سعيد أحمد الوكيل، في قسم البحوث والدراسات الأدبية، معهد البحوث والدراسات العربية-جامعة الدول العربية، القاهرة، صص: 204-209.

التي جعل بعض الباحثين يقول: (إنه درس في "بير" عند "القاضي عمر فال")، وأنه ما دام "مالك سِهْ بُنْدُ"؛ أخذ عنه؛ فلا شك أنه توفي - على الأقل - عام تأسيسه لدولة بند (1695م)؟!
منطق محير جدا؛ خصوصا إذا علمنا أن ثمة روايات أخرى وجيهة؛ تقرر بأن عودة "القاضي عمر فال" إلى حاضرة "كَجُورْ" كانت أثناء حكم الملك "لتسكاب" [Latsukaabe] (1697-1719م)، كما أن هناك روايات أخرى - لا تقل وجاهة - تعود لمخبرين من بلدات "ككي"[Kokki][12]، وقرية اندَامْ لُوحْ" [Ndam Lo] الواقعة قرب "تِوَاوُون"[13]، و"سَانْتِيُو بِيرْ"[Santhiou Pir][14]، قابلتهم الباحثة الأمريكية "لوسي كولفين"[Lucie Colvin][15] في خلال أبحاثها الميدانية في أواخر الستينات من القرن العشرين (1969م).
وقد أفادها بعض هؤلاء المخبرين أن "القاضي عمر فال" ولد في "كجور"[Kajoor]، وأنه هاجر من "كجور" [Kajoor] إلى "فوتا" [Fuuta] مع والده أيام حكم "القاضي انجاي سالٌ"، وأنه بعد رحلته العلمية في "فوتا" [Fuuta]؛ عاد إلى "انجامبور" [Njambuur] أولا؛ حتى علم بأمره أحد مستشاري الملك "لتسكاب"[Latsukaabe]، فوجهه إلى التنبه لخطورة هذا "الشيخ"، وأنه إن لم يبادر بمعالجة أمره؛ سوف يغزو حاضرة مملكته، وأن الملك استقدمه إلى حاضرة "كجور"؛ للوقوف على أحواله، وأنه عَيَّنه حين وقف على حقيقة أمره: قاضيا لـ"كَجُورْ"[Kajoor]، وشيخا لمشايخها، وأن عودته إلى حاضرة "كجور" كانت في حدود عام 1700م، وأنه لم يلبث في منصب القضاء إلا بضع سنين؛ حتى تبرم منه مشايخ "كجور"، وطالبوا بإقالته؛ لأنه لا يتحدث بلغتهم الولفية مع أنه قاضيهم، وأنه عاد بعد ذلك إلى "فوتا" [Fuuta]... إلى أن عاد أبناؤه إلى حاضرة "كجور"[Kajoor]؛ فطالبوا بمنصب "سرنج بير"[Sëriñ Pir]، باعتباره إرثا لهم، وأنهم تولوا هذا المنصب - بعد ذلك - دون منصب القضاء الذي لم يعد لهم، وما كان إرثا لهم أساسا. ولعل هذا ما جعل مؤرخا ضابطا في وزن "الشيخ امباكي بص" يصف "دمب خر فال" - وليس والده "القاضي عمر فال" - بـ(ـباني "بير") في رسالته التي وجهها إلى "الشيخ إبراهيم انياس الكولخي".

12. "مود خري أمنت انيان"، و قد عرفته "لوسي كولفين" قائلة: (شيخ مقيم بـ"ـككي"[Kokki]، عمره: سبعون عاما، وهو من ذرية "سرنج ككي"[Sëriñ Kokki])، وقد قابلتْه في "ككي" [Kokki]، في يومي 9، و10 سبتمبر من عام 1969م.
13. عبد الله جوب، وقد عرفتْه "لوسي كولفين" قائلة: (شيخ يقيم بقرية "اندام لوح" [Ndam Lo] الواقعة على مقربة من "تواوون"، وهو من ذرية "سرنج بير" و"سرنج ككي"[Sëriñ Kokki]، وهو في حدود السبعين من عمره)، و قد قابلته مرتين، بتاريخ 21 يوليو، 1969م، وتاريخ: 8 سبتمبر عام 1969م.
14. شيخ سادبو فال، وعرفته "لوسي كولفين" قائلة: (شيخ مقيم بقرية "سانتو بير"[Santhiou Pir]، وهو بين السبعين والثمانين من عمره، وهو من ذرية "سرنج بير"[Sëriñ Pir])، وقد قابلته بتاريخ 28 يوليو عام 1969م.
15. Lucie Ann Gallistel Colvin, KAJOR AND ITS DIPLOMATIC RELATIONS WITH SAINT-LOUIS DU SENEGAL, 1763-1861, Colombia University, Ph.d, 1972, 464 p.

Research Africa
Copyright © 2023 by Research Africa, (research_africa-editor@duke.edu), all rights reserved. RA allows for the copy and redistribution of the material in any medium or format, provided that full and accurate credit is given to the author, the date of publication, and the location of the review on the RA website. You may not distribute the modified material. RA reserves the right to withdraw permission for republication of individual reviews at any time and for any specific case. For any other proposed uses, contact RA's Editor-in-Chief. The opinions represented in the reviews and published on the RA Reviews website are not necessarily those held by RA and its Review editorial team.
ISSN 2575-6990.

فتاريخ "بِيرْ" بحاجة أكثر إلى كل رواياتها، وإعمال النقد والجرح فيها؛ لغربلتها، والخروج بنتائج أقرب إلى العقل، وإلى الصواب، ثم التبرؤ من الادعاءات والتلفقات، وما أكثرها.

6. وقفنا -عدة مرات - لدى الإحالة إلى مصادر مخطوطة في الكتاب- على عبارة: (مخطوطة بحوزتنا)، (انظر صص: 180، 200، 221، 224، 265). ولا أعتقد أن المحرر أو شركاءه في التأليف ورثوا هذه المخطوطات من خزانات أسرهم؛ حتى ينسبوها إلى أنفسهم. ولعل الأحوط علميا في نسبة أماكن حفظ هذه المخطوطات عدم نسبتها إلى مكتبة أو مكتبات الباحثين أنفسهم؛ اللهم إلا إذا كانت هذه النسخ توجد أصلا في خزاناتهم أو في خزانات آبائهم التي ورثوها أو أصبحوا قيِّمِينَ عليها؛ فيصح حينئذ العزو إليها، وإلا فإن المكتبة التي كانت المخطوطة محفوظة بها هي الأحق بالعزو. ويا حبذا لو كانت مكتبة عامة؛ فيسهل طروق الباحثين لأبواب هذه المكتبات متى شاءوا للتأكد، والاطلاع.